المجلس العشرون

الوقف الزراعي

المجلس العشرون

الوقف الزراعي

تنوعت الأموال الوقفية عبر القرون وتعدّدت طرق استثمار الأموال الوقفية وطرق تدويرها وتشغيلها في كل زمان، ويحكم ذلك كله الحاجة والمصلحة والمنفعة للوقف ولمستحقي مصارف الوقف.

ومن الأوقاف القديمة التي اعتنى بها المسلمون على مرّ التاريخ الأوقاف الزراعية وذلك بوقف المزارع وما يتبعها من آبار ومساكن ودور وما ينتج عنها من حبوب وثمار للفواكه والخضروات ونحوها وما يلحق بالمزارع من ثروات حيوانية ومواشٍ ومشافٍ لها وعيادات وأعلاف ونحو ذلك ...

ويحدثنا التاريخ عن أوائل الأوقاف الزراعية وهي الحوائط[١] السبعة التي أوقفها «مخيريق» رضي الله عنه الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه «خير يهود»[٢] وكذا وقف الصحابي الجليل أبي الدحداح رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١١] قال أبو الدحداح الأنصاري: وإنَّ الله ليُريد منا القرض؟ قال ﷺ: «نعم يا أبا الدحداح» قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله رسول الله ﷺ يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، قال ابن مسعود: وحائطه له فيه ستمائة نخلة[٣].

---

(١) الحوائط: جمع حائط وهو البستان.

(٢) أخرجه الواقدي في المغازي (٢٦٣/١)، وعنه ابن سعد (٥٠١/١، ٥٠٢)، وذكره الحافظ في الإصابة (٧٣/٦) وابن شبة في تاريخ المدينة (١٧٣/١). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ص ٧٨ و٧٩) والحديث من بلاغات ابن إسحاق الذي لم يسنده إلى رسول الله ﷺ وهو يصلح للاستئناس ولا يصح الاحتجاج به حتى يثبت متصلا.

(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام برقم (١٢٠).

وكذلك وقف أبي طلحة ﷺ لمزرعته «بيرحاء» حيث قال: يا رسول الله إن الله – تعالى – يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله...[١].

وإن في وقف المزارع وما تحويه من أشجار ونخيل وثمار أجر عظيم، كما جاء في حديث أنس ﷺ: قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[٢].

أَلا إنَّ مَنْ رامَ الفلاحَ لنفسِه ... وفازَ مِن الدُّنيا بمالٍ وَافِ

فَلا بُد أنْ يسعَى حثيثا لبذلِه ... ويُخرجَ بعضًا منه للأوقافِ

فذلك فوزٌ للغنيّ وبلغةٌ ... ليجنيَ في الأُخرى عظيمَ قِطافِ[٣]

وقد فتح الله على كثير من المسلمين فأوقفوا مزارعهم وثمارها في سبيل الله ﷻ حيث كانت بعض المساجد تقوم على المزارع وريعها وإلى عهدٍ قريب كانت النخيل في بلاد نجد وفي بعض حواضر البلاد الإسلامية توقف على المساجد فيصرف من غلّتها وريعها لإمام المسجد والمؤذّن ومعلّم الصبية ويصرف منها في إطعام الطعام وتعليق عذوق النخل في المساجد وتفطير الصائمين ونحو ذلك.

وفي هذه الأزمان المتأخرة برزت بعض المشاريع الزراعية الوقفية العملاقة ومن ذلك أوقاف الشيخ صالح بن عبد العزيز الراجحي ﷺ في القصيم وهي أوقاف زراعية عظيمة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٠)، مسلم (١٥٥٢).

(٣) ينظر مقالات (الأربعون الوقفية) لعيسى القدومي، موقع:

تهتم بغرس النخيل وذلك لإنتاج أجود أنواع التمور، وأفضل أصناف الفسائل، حيث يزيد عدد النخيل بها عن ربع مليون نخلة بين غرس حديث، ونخيل مثمر يضم أكثر من خمسين صنفا من مختلف أصناف النخيل التي توجد في المنطقة الوسطى بالمملكة يصرف ريعها وغلّتها في وجوه البر والإحسان وتفطير الصائمين في الحرمين الشريفين وفي مساجد المسلمين ويصدّر منها للبلاد الإسلامية الفقيرة وللمراكز الإسلامية في أنحاء البلدان.

كما قامت الإدارة الزراعية في إدارة أوقاف الشيخ صالح الراجحي بدور علمي وإرشادي مهم للمتخصصين والمهتمين في مجال زراعة النخيل عبر إصدارها لعدة مؤلفات علمية متخصصة وتقديم أوراق علمية في المؤتمرات الدولية المتعلقة بالنخيل وزراعتها وإنتاجها وما يصيبها من آفات وأمراض إلخ...

كما أن هذه المشاريع الضخمة مع حسن الإدارة والجودة والإتقان في العمل أصبحت مصدر إدرار وتنمية للأموال الموقوفة وبالتالي صارت هذه الأوقاف الزراعية تصرف على بقية الأعمال الخيرية لهذه المؤسسة الرائدة كإطعام الطعام وتوزيع الكسوة ومساعدة المقبلين على الزواج ورعاية حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتحجيج المسلمين وتفطير الصائمين في الحرمين الشريفين وغيرها من المشاريع والبرامج العملاقة[١].

وهذه المؤسسة الخيرية هي مجرد أنموذج لما تقوم به المؤسسات الخيرية المتخصصة في القطاع الزراعي من جهود مباركة في خدمة الوقف ومصارفه.

ويستقى مما مضى من هذه التجارب الوقفية الزراعية الرائدة ما يلي:

* أن الزراعة باب من أبواب الرزق المبارك التي حثّ عليها الرسول ﷺ كما مرّ في حديث أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا

(١) ينظر: موقع أوقاف الشيخ صالح الراجحي

فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[١] فكان من المهم أن يستفاد منها في المجال الوقفي لاسيما مع وجود خاصية الاستدامة في الأراضي والمنتجات الزراعية.

* استثمار الإمكانات والمقدرات التي وهبها الله للإنسان في خدمة البشرية والسعي في الأرض بما يرضي الله ﷻ قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].
* دور الوقف الزراعي الرائد في نشر الثقافة الزراعية وتوعية المزارعين بالطرق الأجدى والأنفع وتوفير المعلومة الدقيقة والخبرة العملية في المجال الزراعي.
* تعاني بعض بلاد المسلمين في أفريقيا وغيرها من المجاعة والفاقة مع وجود الأراضي الخصبة والمياه المتوافرة مما يؤكد أهمية التوعية في المجال الزراعي واستثمار البيئة والمناخ المناسبين والمساهمة من قبل الجهات الوقفية في استثمار ذلك والقيام عليه.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٠)، مسلم (١٥٥٢).